الشفاعة

في ضوء الكتاب والسنة

والرد على منكريها

لفضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر

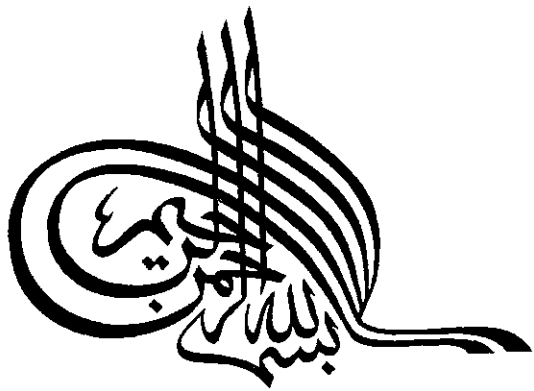
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة:

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

ففي هذا الكتاب بيان لموضوع الشفاعة في ضوء كتاب اللّه تعالي وسنة رسوله ﷺ.

فقد نشرت مقالات في بعض الصحف أنكرت موضوع الشفاعة، وتطاولت على مكانة السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام. وسبق أن كتبت في الرد على المتطاولين على السنة كتاباً في الدفاع عنها ورد الشبهات التي أثيرت حولها.

ورأيت أن أقدم للمسلمين هذا الكتاب لأردّ فيه على من أنكر الشفاعة، وقد وضحت الأدلة عليها من القرآن والسنة النبوية الصحيحة.

وبينت المراد بالآيات التي استدل بها من أنكر الشفاعة، موضحاً أنها غير واردة فيمن مات على التوحيد بل في شأن غير المسلمين، وأن غيرها مما ورد في شأن المسلمين يحمل فيها المطلق علي المقيد كما هو موضح في الكتاب، وهي وإن كان ظاهرها جعل أوهام البعض تقول لا شفاعة إلا أن الآيات ذاتها توضح

بأنها بإذن اللّه تعالي ولمن ارتضي ولو رجع المنكرون للشفاعة لتفسير الآيات وأسباب نزولها وصحيح الأحاديث النبوية لما وقع أحد في مثل هذه الأوهام والشبه، ونسأل الله تعالى لنا ولهم ولجميع المسلمين الهداية، كما نسأل اللّه جلّت حكمته أن يشفع فينا سيد المرسلين وأن يغفر لي ولوالدي ولسائر المسلمين وصلي اللّه علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين.

الشفاعـــة

الشفاعة: هي الوقوف بجانب الغير نُصرةً له وعوناً للتجـاوز عـن خطأ وقع أو لمزيد خير له، فهـي وُصْـلَةٌ بيـن الشـفيع والمشـفوع لـه لمزيد اتصال بين الشفيع والمشفوع عنده.

ومن العلماء من قسمها إلي ثمانية أقسام:

القسم الأول: الشفاعة العظمي.

القسم الثاني: الشفاعة فيمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم.

القسم الثالث: الشفاعة فيمن أمر بهم إلي النار أن لا يدخلوها.

القسم الرابع: الشفاعة في رفع الدرجات في الجنة.

القسـم الخـامس: الشـفاعة لمـن يدخلـون الجنـة بغـير حسـاب وهـم سبعون ألفاً.

القسم السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه كالشفاعة في تخفيف العذاب عن أبى طالب.

القسم السابع: الشـفاعة فـي أن يـؤذن لجميـع المؤمنيـن فـي دخـول الجنة.

القسم الثامن: الشفاعة في أهل الكبائر الذين دخلوا النـار فيخرجـون منها، وهذه الشفاعة تشارك الرسول ﷺ فيها الملائكـة والنبيون والمؤمنون.

وقال الإمام النووي رحمه اللّه تعالي: الشفاعة خمس:

١ـ في الإراحة من هول الموقف.

٢ـ في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

٣ـ في إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا.

٤ـ وفي إخراج من أدخل النار من العصاة.

٥ـ وفي رفْع الدرجات.

وأشار القاضي عياض إلي استدراك شفاعة سادسة.

٦ـ التخفيف عن أبي طالب في العذاب.

قال الحافظ ابن حجر: وزاد بعضهم شفاعة سابعة.

٧ـ وهي الشفاعة لأهل المدينة.

وزاد الإمام القرطبي:

٨ـ أنه صلى اللّه عليه وسلم – أول شافع في دخول أمته الجنة قبل الناس.

٩ـ شفاعته في أهل الكبائر من أمته.

وقال الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) وظهر لي بالتتبع شفاعة أخري.

١٠ـ وهي شفاعته فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة.

١١ـ وشفاعته صلى اللّه عليه وسلم فيمن قال لا إله إلا اللّه.

١٢ـ والشفاعة في صاحبي القبرين الذين مر عليهما وهما يعذبان.

رأي المعتزله

وقال الحافظ ابن حجر: أثبتت المعتزلة الشفاعة العامة في الإراحة من كرب الموقف، وهي الخاصة بنبينا عليه الصلاة والسلام - والشفاعة في رفع الدرجات وأنكرت ما عداهما.

وسنفصل القول في هذه الأمور، ولكن قبل هذا أحب أن أوضح بعض الآيات التي أوردها منكروا الشفاعة ظناً منهم أنها عامة وأنها تشمل المؤمنين فوقعوا في الخطأ في نفي الشفاعة حيث فهموا الآيات القرآنية التي يوهم ظاهرها نفي الشفاعة فهماً غير صحيح، ووضعوها في غير مواضعها، وما كان لأحد أن يتسرع وأن يقول برأيه في كتاب اللّه تعالي، دون الرجوع إلي القرآن والسنة لبيان المعني المراد لأن ما جاء مجملاً أو مبهماً في موطن من مواطن القرآن الكريم فُصِل وفُسِّر في مواضع أخري، وما لم يوجد بيانه في القرآن الكريم جاء إيضاحه في السنة النبوية المطهرة علي صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، لأن السنة النبوية المشرفة موضحة ومُبينة للقرآن الكريم كما قال تعالي:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

كما أحب بادئ ذي بدء أن أُورد ما كتبته ونشرته ردًّا على

---

(١) سورة النحل (٤٤)

مانشر من كتابات غير صحيحة ينكر كاتبها شفاعة الرسول ﷺ، وينكر بعض السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام، ويقلّل من شأن أكبر مرجع من مراجع الحديث النبوي الشريف وهو كتاب (الجامع الصحيح) للإمام البخاري الذي تلقّته الأمة بالقبول، وعرف بأنه أصح كتاب بعد كتاب اللّه تعالي.

ثبوت الشفاعة بالقرآن والسنة
والرد على ما كتبه المنكرون

اكتب هذه السطور لإحقاق الحق في موضوع الشفاعة، ولدفع الأوهام والأخطاء التي نشرت بين الناس، وفي بعض الصحف وأثارت بلبلة في هذا الموضوع. فلقد أجمع السلف والخلف من أهل السنة علي ثبوت الشفاعة ووجوبها سمعاً وشرعاً بصريح قول الحق تبارك وتعالي ﴿يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[1]. وقوله سبحانه ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾[2]. وجاءت الأحاديث الصحيحة والصريحة التي بلغت بمجموعها حدَّ التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين، ومن هذه الأحاديث: ما جاء عن جابر ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي...» ومنها «وأعطيت الشفاعة»[3].

وحيث ثبتت الشفاعة بالكتاب والسنة، وحيث أجمع أهل السنة عليها سلفاً وخلفاً، فلا يلتفت إلي منكريها، لأن آراءهم باطلة ولا أساس لها من الصحة.

---

(١) سورة طه (١٠٩)

(٢) سورة الأنبياء (٢٨)

(٣) رواه البخاري ومسلم

وقد بني المنكرون للشفاعة رأيهم الباطل على فهم غير صحيح لبعض الآيات القرآنية الواردة في شأن الكافرين مثل قول اللّه سبحانه وتعالي: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[1] وكقوله تعالي: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[2]. ومثل قوله تعالي: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾[3] وهذه الآيات كلها في شأن الكفار وليست في شأن المؤمنين، ولكن من أنكر الشفاعة أورد أمثال هذه الآيات علي عمومها ولم ينظر إلي تتمتها ولا إلى مَنْ وردت في شأنهم فقد قال اللّه تعالي قبلها ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[4]. فهذه الآية خاصة بالكافرين وليست مانعة من الشفاعة ولا غيرها من الآيات السابقة فهي واردة في شأن الكافرين.

ويدل على ذلك ما ورد عن جابر بن عبد اللّه ﷺ قال: يقول اللّه تعالي: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ قال: أتْلُ أوّلَ الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا

---

(١) سورة المدثر (٤٨)

(٢) سورة غافر (١٨)

(٣) سورة المائدة (٣٧).

(٤) سورة المائدة (٣٦، ٣٧)

وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ الآية «أَلاَ إنهم الذين كفروا» رواه ابن مردويه..

ومما يدل على وضع منكر الشفاعة الآيات للاستدلال بها في غير موضعها وفهمها على غير معناها الاستدلال بقول اللّه تعالي: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾[1].

يقول الإمام ابن كثير: هذا جواب من اللّه تعالي للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلي هذه الديار يقول ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ أي امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء ﴿وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ أي لا تعودوا إلي سؤالكم هذا... وكذلك الحال في الآية رقم (١٦٧) من سورة البقرة ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ والآية التاسعة عشر من سورة الزمر ﴿..أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ والمعني أفأنت تهديه إلى الإيمان فتنقذه من النار بالإيمان.

مثل هذا الآيات واردة في شأن الكافرين وليس في شأن المؤمنين فكيف يُستدل بالآيات الواردة في شان الكافرين علي عدم الشفاعة؟

ومعلوم أن الكافرين مخلدون في النار ولا تنفعهم شفاعة الشافعين، ولا شفاعة أصلا لهم.

---

(١) سورة المؤمنين (١٠٧،١٠٨)

وكيف توضع هذه الآيات في غير موضعها؟ ويُستدل بها على غير ما وردت بشأنه؟ وما جاء من آيات يوهم ظاهرها عدم الشفاعة يحمل المطلق منها على المقيد وعلى ما فصلته الآيات الأخري المثبتة للشفاعة، وما جاء في الأحاديث الصحيحة والعجب أن يقال: (إن هذه الثوابت القرآنية تتناقض تماماً مع مرويات الأحاديث النبوية في كتب السيرة عن إخراجه لمن يشاء من أمته من النار، مما يؤكد أن هذه الأحاديث موضوعة، ولا أساس لها من الصحة).

ثم تقرأ بعد ذلك ما يندي له الجبين بسبب التشكيك في أكبر وأهم مرجع لحديث رسول الله ﷺ حيث يقول من أنكر الشفاعة (ولم يقل لنا ربّ العالمين إنه حفظ كتاب البخاري أو غيره من كتب السيرة، وما يقوله البخاري تناقض للقرآن لا يلزمنا في شيء) وهذا كلام خطير، قال به من قبل بعض الذين زعموا أنه يمكن الاكتفاء بالقرآن وهو قول باطل لا أساس له من الصحة فالقرآن نفسه أمرنا أن نأخذ ما أتانا به الرسول ﷺ وأن ننتهى عما نهانا عنه حيث قال رب العزة سبحانه: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1] فمن لم يأخذ بالحديث النبوي هو غير آخذ بالقرآن، لأن القرآن أمرنا أن نأخذ ما أتانا به الرسول ﷺ.

---

(١) سورة الحشر (٧)

ثم كيف يُفهم القرآن بدون الحديث، والحديث هو المفسر والمفصل للقرآن، وبدون الأخذ بالأحاديث لا يمكن أن نعرف تفاصيل العبادات والمعاملات وسائر الأحكام الشرعية، إنها دعوة خطيرة تلك التي ترفض أصح كتاب بعد كتاب اللّه تعالي وهو كتاب صحيح البخاري الذى تلقته الأمة بالقبول وليس فيه حديث واحد ضعيف، ومن رفض أصح كتب السنة فهو رافض لباقيها ثم كيف يقول الكاتب (لم يقل لنا رب العالمين أنه حفظ كتاب البخاري أو غيره، من كتب السيرة، وما يقوله البخاري مناقض للقرآن لايلزمنا في شيء) أقول ردًّا علي هذا العدوان الصارخ علي أصح كتب السنة أن اللّه تعالي كما تكفل بحفظ القرآن الكريم في قوله تعالي ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فقد تكفل بحفظ السنّة، فهذا اليقين بحفظ القرآن الكريم يُفيء علينا يقيناً قريباً منه بأن اللّه تعالي قد تكفّل بحفظ كل صحيح من الحديث النبوي الشريف ليكون بياناً للقرآن الكريم الذي تكفل بحفظه حيث قال اللّه تعالي: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ۞ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ۞ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[1].

ولننظر إلى قول الكاتب عن (المقام المحمود) المذكور في قول اللّه تعالي: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[2].

---

(١) سورة القيامة (١٧- ١٩)

(٢) سورة الإسراء (٧٩)

قال الكاتب (هو مقام البشارة العظمي واللّه أعلم وليس مقام الشفاعة العظمي كما يذكر المفسرون) أقول رداً على هذا:

إن الفيصل في تحديد كلام اللّه هو مَنْ أُنزل عليه كلام اللّه هو الرسول ﷺ، فقد سئل عن المقام المحمود في هذه الآية فقال: (هي الشفاعة) رواه الترمذي.

وقال ابن عباس رضي اللّه عنهما: المقام المحمود مقام الشفاعة وكذا قال مجاهد والحسن البصري.

وروي البخاري بالسند عن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتي تنتهي الشفاعة إلي محمد ﷺ فذلك يوم يبعثه اللّه مقاماً محموداً.

وعن جابر بن عبد اللّه ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال «من قال حيث يسمع النداء: اللّهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وأبعثه اللّه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة»[1]. ومن الأحاديث الصحيحة التي ردها الكاتب[2] حديث مات رسول اللّه ﷺ: (ودرعه مرهونة عند يهودي) حيث قال: (وهو كذب وإفتراء) والردّ على ذلك أن هذا حديث

---

(١) رواه البخاري

(٢) مقالات انكار الشفاعة نشرت في إحدى الصحف ثم أخرجها صاحبها – بعد ذلك– في كتيّب.

صحيح سنداً ومتناً وهو ثابت في أصح كتب السنة المعتمدة قال البخاري رحمه اللّه: حدثنا مسدد وحدثنا عبد الواحد حدثنا الأعمش قال: تذاكرنا عند إبراهيم الرهن والقبيل في السلف ـ والقبيل هو الكفيل. فقال إبراهيم: حدثنا الأسود عن عائشة رضي اللّه عنها أن النبي ﷺ «اشتري من يهودي طعاماً إلي أجل ورهنه درعه»[1]. وجاء عند الشافعي والبيهقي أن اسم اليهودي أبو الشحم من بني ظفر، وقدر الشعير المذكور بثلاثين صاعاً.

وذكر أئمة الحديث أنه يستنبط من هذا جواز معاملة الكفار فيما لم يتحقق تحريم عين المتعامل فيه، وعدم الاعتبار بفساد معتقدهم ومعاملاتهم فيما بينهم.

وأما الحكمة في عدوله صلى اللّه عليه وسلم عن معاملة مياسير الصحابة إلي معاملة اليهود إما لبيان الجواز أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل عن حاجة غيرهم أو خشي أنهم لا يأخذون منه ثمناً أو عوضاً فلم يرد التضييق عليهم) ا.هـ.

وبعد:

فخلاصة القول أن الشفاعة ثابتة بالقرآن الكريم والسنة الصحيحة، وأن الذي يردّ الأحاديث الصحيحة، كالذي يدخل في الحديث ما ليس منه كلاهما كذب على رسول اللّه ﷺ. وقد قال عليه

---

(١) رواه البخاري

الصلاة والسلام «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

وبين يدي الآن وأنا أكتب هذه السطور أكثر من ثمانين ومائة حديث من الأحاديث الصحيحة التي تثبت الشفاعة بجميع أنواعها الواردة في السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

فاللّهم وفقنا لصالح الأعمال وأرزقنا شفاعة نبيك عليه الصلاة والسلام، وأحسن خاتمتنا في الأمور كلها يارب العالمين.

---

(١) رواه البخاري ومسلم

بيان المراد من بعض الآيات
التي زعم الواهمون أنها تنفي الشفاعة

(١) قال اللّه تعالي ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[1]. والناظر إلي الآية التي قبل هذه الآية يري أنها جاءت في بني إسرائيل وأنها تعني الكافرين، حيث قال سبحانه: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2] حيث ذكرهم اللّه سبحانه بنعمه السالفة علي آبائهم وأسلافهم، وبعد أن ذكّرهم بالنعم حذرهم من النقم، فقال تعالي: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ولا يقبل منها شفاعة من الكافرين ﴿وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ «أي لا يقبل منها فداء». ﴿وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ أي لا أحد ينصرهم من عذاب اللّه، أي أن اللّه سبحانه وتعالي لا يقبل فيمن كفر به فدية ولا شفاعة. وهكذا نري أن الآية ليست في شأن المؤمنين بل في شأن الكافرين.

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعني بإيراده في آيات أخري من سورة البقرة وذلك في قوله تعالي: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ۞ وَاتَّقُوا يَوْمًا لا

---

(١) سورة البقرة (٤٨).
(٢) سورة البقرة (٤٧).

تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[1]. فأكدت الآية الكريمة أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة وأن الآية لا يراد بها نفي الشفاعة بصفة عامة عن المؤمنين.

(٢) قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2] والمراد بنفي الشفاعة هنا أي لا شفيع يشفع لكم إلا أن يأذن الله رب العالمين.

وقال الألوس: (ولا شفاعة: أي لأحد إلا من بعد أن يأذن الرحمن لمن يشاء ويرضي) ثم يعقب الألوسي بعد ذلك علي نفي البيع ونفي (الخُلّة) وهي المودة والصداقة ونفي (الشفاعة) بقوله والتعقيب عليها بقوله تعالي :﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول: (وفائدة الاخبار حينئذ الإشارة إلي نفي تلك الأشياء بالنسبة إليهم وأن ذلك لا يعد منا ظلما لهم لأنهم هم الظالمون لأنفسهم المتسبّبون لذلك) ا.هـ.

(٣) وقال تعالي ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[3] أي ليس لهم غير

---

(١) سورة البقرة (١٢٢،١٢٣).

(٢) سورة البقرة (٢٥٤).

(٣) سورة الأنعام (٥١).

اللّه تعالي ولي ينصرهم ولا شفيع يشفع لهم إلا بإذنه ولمن أرتضي سبحانه وتعالي فالمطلق يحمل علي المقيد قال سبحانه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾[1].

(٤) وقال سبحانه ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾[2] ويتضح لنا أن المراد بالآية هم الكافرون حين نكمل قراءة الآية فهي تقول بعد قوله تعالي: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي أنهم ليس لهم من ولي ولا شفيع ولهم العذاب المذكور بسبب كفرهم المستمر. فاتضح أن المراد هنا هم الكافرون.

(٥) وقال سبحانه وتعالي ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾[3] أي ليس لكم من دونه من ولي ولا شفيع يشفع لكم عنده إلا بإذنه سبحانه وتعالي فليس في الآية نفي للشفاعة عن المؤمنين بل لاتكون إلا بإذن اللّه جل شأنه وسنوضح الآيات التي تثبت الشفاعة بإذن اللّه سبحانه وتعالي.

---

(١) سورة البقرة (٢٥٥).

(٢) سورة الأنعام (٧٠)

(٣) سورة السجدة (٤).

الآيات المثبتة للشفاعة

بإذن الحق جل شأنه ولمن ارتضى

(١) قول اللّه تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بإذْنه﴾[١].

(٢) قال اللّه تعالى: ﴿مَا مِنْ شفِيعٍ إلا مِنْ بعْد إذْنِهِ﴾[٢].

(٣) قال اللّه تعالى: ﴿يوْمَئِذٍ لا تَنْفعُ الشّفاعَةُ إلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرّحْمَنُ ورضِيَ لهُ قَوْلا﴾[٣].

(٤) قال اللّه تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أيْدِيهِمْ وَمَا خلْفهُمْ وَلا يشْفَعُون إلا لِمنِ ارْتضَى﴾[٤].

(٥) قال اللّه تعالى: ﴿وَلا تَنْفَعُ الشّفاعَةُ عِنْدَهُ إلا لمَنْ أذِنَ لهُ﴾[٥].

(٦) قال اللّه تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلكٍ فِي السّمَوَاتِ لا تُغْنِي شفاعَتهُمْ شَيْئا إلا مِنْ بعْدِ أنْ يأْذَنَ اللّهُ لِمَنْ يَشاءُ وَيَرْضَى﴾[٦] ومما سبق يتضح لنا ثبوت الشفاعة في القرآن الكريم لمن أذن له اللّه سبحانه وتعالى، ولمن يشاء ويرضي، وكل شيء في الدنيا وفي الآخرة

---

(١) سورة البقرة (٢٥٥).

(٢) سورة يونس (٣).

(٣) سورة طه (١٠٩).

(٤) سورة الأنبياء الآية (٢٨).

(٥) سورة سبأ (٢٣).

(٦) سورة النجم (٢٦).

لا يحدث إلا بإذن اللّه سبحانه وتعالي وإرادته، وبقدرته ورضاه، فلا يقع في ملكه إلا ما يريد.

ومما سبق يتضح أن الآيات التي فهم منها منكر الشفاعة أنها تؤيد رأيه الخاطيء في نفي الشفاعة نوعان:

النوع الأول منها: آيات واردة في شأن الكفار والمشركين وغير المسلمين وهؤلاء لا شفاعة لهم إنما الشفاعة خاصة بالمؤمنين الذين آمنوا باللّه رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً.

والنوع الثاني منها: مطلق يحمل على المقيد أو عام يحمل على الخاص وأنه لا شفاعة إلا بإذن اللّه تعالي، ولمن ارتضي اللّه لهم الشفاعة.

الشفاعة العظمى

يراد بالشفاعة العظمى شفاعة سيدنا محمد ﷺ في فصل القضاء، وهذه الشفاعة، هي المعروفة بالمقام المحمود الذي ورد في قول الله سبحانه وتعالي: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾[1] وقد سئل الرسول ﷺ عن المقام المحمود في الآية الكريمة، فقال: «هي الشفاعة»[2].

وهذا النوع من الشفاعة مختص بسيدنا محمد ﷺ وهي الشفاعة لفصل القضاء وللإراحة من هول الموقف، ولتعجيل الحساب.

إنه المقام المحمود الذي يحمده فيه رب العزة سبحانه وتعالي والملائكة والخلق أجمعون.

وقد ورد بيان ذلك مفصلاً في أحاديث نبوية صحيحة وصريحة، في أصح كتب السنة النبوية المطهرة علي صاحبها أفضل الصلاة، وأتم السلام، وسنختار من هذه الأدلة الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه بسنده:

قَالَ حَجّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُهِمُّوا[3]

---

(١) سورة الإسراء (٧٩).

(٢) رواه الترمذي

(٣) حتى يُهمّوا: بضم الياء وكسر الهاء من [أهم] أى حتى يحزنوا بهذا الحبس والتأخير في هذا الموقف الصعب.

بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ، أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: أَكْلَهُ مِنْ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا، أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ[1]، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ثَلاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ[2]، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، الَّتِي أَصَابَ: قَتْلَهُ النَّفْسَ، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى، عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونَنِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، فَيَقُولُ:

---

(١) وذلك في قوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾

(٢) أما الأولى فهى قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ والثانية قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ والثالثة قوله في شأن سارة "هى أختى" والحق أن هذه الكلمات من المعاريض ولكن لمّا كانت في صورة الكذب أشفق على نفسه منها وخاف مقام ربه وهكذا كلما كان العبد اقرب إلى اللّه كان أشد خوفاً منه سبحانه.

ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ، يُعَلِّمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ: فَأَخْرُجُ، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ قَتَادَةُ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ[1]. أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ - قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ قَالَ: وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ »[2].

---

(١) المراد بمن حبسه القرآن: هو الذى وجب عليه الخلود في النار وهو الكافر.

(٢) رواه البخارى في صحيحه كتاب

والوعد المذكور هو ما نصت عليه الآية الكريمة في قول اللّه سبحانه وتعالي ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾.

الشفـــاعة

في إدخال قوم الجنة بغير حساب

يدل علي هذا النوع من الشفاعة، وهي الشفاعة في إدخـال قـوم الجنة بغير حساب، ما جاء في آخر حديث الشفاعة العظمي، «...ثم يقال: يا محمد أرفع رأسك سل تعطـه واشـفع تشـفّع، فـأرفع رأسـي، فأقول: يا رب أمتي، يا رب أمتني، يا رب أمتي، فيقول: «يـا محمـد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنـة وهم شركاء الناس فيما سوي ذلك من الأبواب»[1] وإن اللّه سـبحانه وتعالي يجزل العطاء لبعض عباده المقربين الطائعين المخلصين الذيـن أحبوه وأحسنوا العبادة، وأحسنوا الظن في اللّه رب العـالمين، فهـو لا يكافئهم علي أعمالهم بمثلها ولا بأضعاف بل هو سبحانه تكفل بعطـاء وافر لا يعرف أحد كنهـه ومـن ذلـك مـن يدخلهـم جنتـه يـوم القيامـة بشفاعة سيد الخلق عليه أفضل الصلاة وأتم السلام بلا حساب وليـس في هذا محاباة ـ كما يزعم الواهمون المخطئون ـ بل كان هذا جـزاءً وفاقاً لكريم أعمالهم، وعظيم تقربهم لربهم، وصادق حبهم وما ربـك بظلام للعبيد، ونصُّ الحديث الذي جاء آخـره إدخـال مـن لا حسـاب عليهم الجنة هو:

---

(١) رواه الترمذي.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ؛ فَأَكَلَهُ - وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ - فَنَهَسَ[1] مِنْهَا نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ لِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ: الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ[2]، فَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمْ[3] الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ، فَبَلَغَ النَّاسُ مِنْ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ، وَلا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ آدَمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنْ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ نُوحٌ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي،

---

(١) أخذ وقطع.

(٢) الصعيد: هو التراب أو هو وجه الأرض أو الطريق.

(٣) يحيط بهم.

اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَدْ كَذَبْتُ ثَلاثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُوحَيَّانَ[1] فِي الْحَدِيثِ - نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلامِهِ عَلَى الْبَشَرِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا، لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ: فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا، فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَخِرُّ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ

---

(١) هو أحد رواة الحديث عند الإمام الترمذي رحمه الله.

مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالَ يَامُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي، يَا رَبِّ، أُمَّتِي، يَا رَبِّ، أُمَّتِي، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِ، مِنْ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، وَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1].

وهناك بعض الأحاديث التي تشير إلي صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب...

وهذه الصفات هي:

- هم الذين لا يَرْقون.
- ولا يسْتَرْقون.
- ولا يتطيرون.
- وعلي ربهم يتوكلون.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللّه عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ[2] وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلان، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رهط الرجل: قومه وقبيلته والرهط: هو مادون العشرة من الرجال.

لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ: فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ، فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ....».

فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟ فَأَخْبَرُوهُ. فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لا يَرْقُونَ، وَلا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ». ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1].

وفيما رواه البخاري - بسنده - عَنْ حُصَيْنٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فَقَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ هَؤُلاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لا. وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ قَالَ: هَؤُلاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا

---

(١) رواه البخارى ومسلم

قُدَّامَهُمْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا عَذَابَ قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لايَكْتَوُونَ وَلا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ قَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»[1]. وهناك رواية أخرى في صحيح البخاري:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ - شَكَّ فِي أَحَدِهِمَا - مُتَمَاسِكِينَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمْ الْجَنَّةَ وَوُجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»[2].

وفى هذه الأحاديث ما يشير إلى أن هناك من المكلفين من لا يُحاسب أصلاً ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً ومنهم من يناقش الحساب.

والمراد بأوصاف الذين يدخلون الجنة بغير حساب، أنهم اتصفوا بتمام التوكل على الله سبحانه وتعالى، فلا يسألون أحداً أن يرقيهم ولا يكويهم ولايتطيرون من شيء.

وتركهم للرقية إنما هو حسمٌ للمادة، لأن الذي يطلب الرُّقىَ من غيره لا يأمن حاله أن يكل نفسه إليه وإلا فالرقية ليست محرمة ولا ممنوعة وإنما الممنوع منها ما كان شركا أو يحتمل ذلك.

---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه البخارى.

ولقد قَالَ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ الأَشْجَعِي: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «اعْرِضُوا عَلَيّ رُقَاكُمْ لا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»[1].

والمراد بكونهم: لا يتطيرون، أنهم لا يتشاءمون كما كانوا يفعلون في الجاهلية.

ومعنى: (لا يكتوون) أي لا يفعلون الكيّ بالنّار من أجل العلاج إلا عند الضرورة مع الإعتقاد بأن الشفاء إنما هو من اللّه سبحانه وتعالى وليس من مجرد فعل الكي.

ومعنى (ولا يسترقون) أي بالرقى المحرمة والتي لم تكن في القرآن ولا في الحديث الصحيح مثل الرقى التي كانت تستعمل في الجاهلية.

والرقى التي لا يؤمن أن يكون فيها شرك ومعنى: (ولا يتطيرون) أي لايتشاءمون بشيء.

وأما قوله (وعلى ربهم يتوكلون) يحتمل أن تكون هذه الجملة تفسيراً لما سبقها من ترك الاكتواء والاسترقاء والتطير أي التشاؤم، ويحتمل أن تكون من قبيل العام بعد الخاص، لأن صفة كل واحد خاصة والتوكل أعم وجاء في بعض الأحاديث أن مع السبعين ألفا زيادة عليهم ففيما أخرجه أحمد والبيهقي بالسند من حديث أبى

---

(١) رواه مسلم.

هريرة عن النبي ﷺ قال:

«سألت ربي فوعدني أن يدخل الجنة من أمتي...» وذكر حديث الذين يدخلون الجنة بغير حساب وزاد:

«فاستزدت ربي فزادني مع كل ألف سبعين ألفا» وورد في صحيح ابن حبان والطبراني بسند جيد: من حديث عتبة بن عبد نحوه بلفظ:

ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفا ثم يحثى ربي ثلاث حثيات بكفيه وفيه فكبّر عمر فقال النبي ﷺ: «إن السبعين ألفا يشفعهم اللّه في آبائهم وأمهاتهم وعشائرهم، وإني لأرجو أن يكون أدنى أمتي الحثيات».

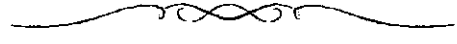

الشفاعة في تخفيف العذاب

عمن يستحقه مثل أبي طالب

لما سئل رسول اللّه ﷺ عن شأن عمه أبى طالب ولم يدخل الإسلام ولكنه أثناء حياته وقف بجوار النبي ﷺ ودافع عنه فهل نفعه هذا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي ...»

يرى بعض العلماء إن هذا ينفع في تخفيف عذاب غير الكفر، وأن أعمال البر تخفّف عذاب غير الكفر.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ النَّار يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»[1].

والضحضاح: مارق من الماء على وجه الأرض يبلغ نحو الكعبين.

فالكافر لا قيمة لأعماله في حصول ثواب له، ولا تخرجه أعماله من النار، لقول اللّه تعالى ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[2].. أي أن أعمال البر التي يقوم بها الكافرون في الدنيا يعمد اللّه إليها يوم القيامة فيظهر بطلانها كلية ويُحبطها، لأنها خالية من الإيمان الذي هو أساس الثواب في الآخرة.

---

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) سورة الفرقان : الآية ٢٣.

ولكن أليس يكافأ الكافر بما يؤديه من أعمال البر كالغرس والزرع وغير ذلك، وكأعمال أبي طالب؟

١- يرى البعض أنه لا ثواب له.

٢- ذهب بعض العلماء إلى أنه يثاب عليه في الدنيا، بزيادة ماله أو ولده.

٣- وذهب بعضهم إلى أنه يثاب عليه في الآخرة بتخفيف عذاب غير الكفر وهذا الرأي هو ما نميل إليه، لأن للكافر نوعين من العذاب:

الأول: دخوله النار وعذابه فيها، بسبب كفره وعدم إيمانه، وهذا النوع لايخفف منه شيء ولا يدخل الجنة أبدا مهما عمل من أعمال البر كما سبق.

الثاني: عذابه على ما ارتكبه من الجرائم والشرور والمعاصي، وهذا النوع يتفاوت فيه الكفار في عذابهم، كل على حسب ما ارتكب ويخفف من عذاب هذا النوع بسبب عمل البر، وأما ما رواه مسلم بسنده عن عائشة قالت: قلت: يا رسول اللّه ابن جدعان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه إنه لم يقل يوماً! «رب أغفر لي خطيئتي يوم الدين»» أي لأنه لم يكن مصدقاً بالبعث ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل، فيحتمل أن المراد بقوله: "لا ينفعه" أي في دخول الجنة وعدم الخلود في النار

وهذا لا يمنع أن لعمله نفعا في تخفيف عذاب غير الكفر فقط. ومما يقوى ما نميل إليه من أن أعمال البر للكافر تخفف من عذاب غير الكفر – ما رواه الإمام أحمد من حديث أبي أيوب الأنصاري: «ما من رجل يغرس غرسا» والرجل يطلق على المسلم والكافر، وأما تقييد بعض الروايات بالمسلم في قوله: «ما من مسلم» فذلك لأن الغالب في خطابات الرسول ﷺ أن تكون للمسلمين.

ولأنه أراد حصول الثواب في الآخرة، وهو خاص بالمسلم وهذا لايمنع ما نراه من تخفيف عذاب غير الكفر، لا حصول ثواب وثبوت صدقة.

ويدل على تخفيف عذاب غير الكفر بسبب أعمال الخير ما رواه مسلم بسنده عن عبد اللّه بن الحارث قال: سمعت العباس يقول: قلت يا رسول اللّه إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك؟ قال:"نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح"

"والضحضاح" مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين واستعير في النار.

الشفاعة لأهل المدينة المنورة
على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

من أنواع الشفاعة التي جاءت بها الأحاديث النبوية الشريفة الشفاعة لأهل المدينة المنورة على ساكنها سيدنا محمد أفضل الصلاة وأتم السلام.

عَنْ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لابَتَيْ الْمَدِينَةِ أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا» .. وَقَالَ: «الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لا يَدَعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلا أَبْدَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَلا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

ولأواؤها: شدتها، أي لا يصبر أحد على ما يلاقيه فيها من شدة أو تعب إلا كان رسول اللّه ﷺ شفيعاً له أو شهيداً له.

كما وردت شفاعة الرسول ﷺ لمن مات في المدينة:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا»[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذى وأحمد وابن ماجه.

ومما يدل على ثبوت الشفاعة لأهل المدينة المنورة ما جاء في الحديث الآتي:

روى الإمام مسلم – بسنده – عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ رضي اللّه عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَبَرَ عَلَى لأْوَائِهَا وَشِدّتِهَا كُنْتُ لَهُ شَهِيدا أَوْ شَفِيعا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (يَعْنِي الْمَدِينَةَ)»[1].

ففي هذا الحديث بيان لفضل المدينة المنورة ومكانتها، وترغيب في سُكناها والصبر على ما قد يكون فيها من شدة وجوع أو تعب ومشقة.

وقد بشر رسول اللّه صلوات اللّه وسلامه عليه الصابرين على الشدة فيها بشرهم ووعدهم بأنه سيكون لهم يوم القيامة شهيدا وشفيعا.

و "أو" في قوله "كنت شهيداً أو شفيعاً" قيل إنها للشك وقال النووي: والأظهر عندنا أنها ليست للشك وأنها للتقسيم وعلى هذا، يكون شهيدا لبعض أهل المدينة وشفيعاً لبقيتهم وإما شفيعاً للعاصين وشهيداً للمطيعين، وإما شهيداً لمن مات بعده أو غير ذلك.

قال القاضي: وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين أو العالمين وعلى شهادته على جميع الأمة وقد تكون" أو" بمعنى الواو فيكون لأهل المدينة شفيعاً وشهيدا، وهذا كله إذا لم تكن " أو"

---

(١) رواه مسلم.

للشك. أما إذا كانت للشك فمعنى الحديث أن الرسول ﷺ يكون شهيداً أو يكون شفيعا وأن الذي سيحصل هو أحد الشيئين إما الشهادة، وإما الشفاعة، وتحديد أحدهما متوقف على معرفة أي اللفظين أصح؟.

فإن كانت اللفظة الصحيحة "شهيدا" فلا يكون هنا اعتراض ولا يقال: لم خص أهل المدينة بالشفاعة مع كونها عامة و مدخرة للأمة يوم القيامة؟.

لا يعترض بمثل هذا، لأن الشهادة حينئذ تكون زائدة على تلك الشفاعة المدخرة وأما إذا كانت اللفظة الصحيحة " شفيعا" فيكون اختصاص أهل المدينة بالشفاعة مع كونها عامة، أن هذه شفاعة أخرى غير الشفاعة العامة التي تكون لإخراج الناس من النار ومعافاة بعضهم منها بشفاعة الرسول ﷺ في يوم القيامة.. وأما هذه الشفاعة المذكورة لأهل المدينة فتكون لزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب أو باكرامهم يوم القيامة بأنواع من الكرامة كإيوانهم إلى ظل العرش، أو كونهم على منابر أو الإسراع بهم إلى الجنة أو غير ذلك من الكرامات الواردة لبعضهم دون بعض.

ولسكنى المدينة على هذا فضل عظيم، ومكانة طيبة للصابرين على شدتها وضيق العيش فيها وهذا الفضل الثابت لها باق ومستمر ودائم إلى يوم القيامة.

وفي سكنى المدينة ومكة، فضل عظيم، وثواب مضاعف، لمضاعفة الأجر على الصلاة والعبادة وعلى هذا فتكون المجاورة مستحبة إلا أن يغلب على الظن الوقوع في المحظورات وغيرها.

واختلف العلماء في المجاورة بمكة والمدينة، فقال أبو حنيفة وطائفة تكره المجاورة بمكة وقال أحمد بن حنبل وطائفة لا تكره المجاورة بمكة بل تستحب وإنما كرهها من كرهها لأمور منها: خوف الملل، وقلة الحرمة للأنس، وخوف ملابسة الذنوب، فإن الذنب فيها أقبح منه في غيرها كما أن الحسنة فيها أعظم منها في غيرها، واستدل من استحب المجاورة فيها بما يحصل فيها من الطاعات التي لا تحصل في غيرها، ومضاعفة الصلوات والحسنات وغير ذلك.

والذي نختاره: هو استحباب سكنى مكة المكرمة والمدينة المنورة إلا إذا غلب على الظن الوقوع في المحظورات. قال الإمام النووي: وقد جاورتهما خلائق لا يحصون من سلف الأمة وخلفها ممن يقتدي به، وينبغي للمجاور الاحتراز من المحظورات وأسبابها.

وقد صان اللّه سبحانه وتعالى المدينة المنورة من الطاعون ومن الدجال كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلائِكَةٌ لا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلا الدَّجّالُ» فالملائكة تصرف وجه الدجال بعيداً عن المدينة، وقد صانها اللّه

تعالى ببركة صاحب الرسالة وشفيع الأمة، وخاتم الأنبيـاء والمرسـلين سيدنا محمد ﷺ.

مما ثبت له الشفاعة من الأعمال الصالحة: عبادة الصيام وتلاوة القرآن الكريم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ»[1] ومما ورد في شأن حامل القرآن الذي كان يتلوه في الدنيا، أنه يدافع عن صاحبه ويشفع له يوم القيامة.

عَنْ النَّوَّاسَ بْنِ سَمْعَانَ ﷺ أنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ: كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ[2] مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»[3].

ومعني (بينهما شَرْق) أي نور وضياء بينهما، ومعني قوله (بينهما حِزْقان) الجماعة من الناس.

---

(١) رواه أحمد والحاكم.

(٢) حزقان: الحزق: جماعة من الناس أو الطير أو النحل أو غير ذلك.

(٣) رواه مسلم

وللقرآن الكريم شفاعته لحامله وقارئه يوم القيامة حيث يرفعه الله سبحانه وتعالي به درجات ويزيد له في الكرامة والإكرام.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»[1].

(١) رواه الترمذي والدارمي.

شفاعة الشهداء

ممن ثبت لهم الشفاعة: الشهداء الذين قتلوا في سبيل اللّه وضحوا بأنفسهم للدفاع عن الدين والأرض والعرض والوطن الإسلامي فهم أحياء عند ربهم يرزقون، ولهم شفاعتهم عند اللّه سبحانه وتعالي حيث ورد في بعض الأحاديث ما يفيد أنهم يشفعون، فيشفع الشهيد في سبعين من أهله.

عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنْ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إلى أن قَالَ: وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»[1].

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»[2].

وواضح أن للشهداء في سبيل اللّه منزلة عالية، ودرجة سامية، يستجيب اللّه تعالي لشفاعتهم في الآخرة، كما أن اللّه تعالي يطلب من الشهداء أن يتمنوا ليحقق لهم ما يريدون يقول سبحانه للشهيد: «يا عبدي تَمنَّ عَليَّ أُعطك» فاللّه سبحانه وتعالي يطلب من الشهيد

---

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه وأحمد بسند صحيح.

(٢) رواه أبو داوود.

أن يسأله ليعطيه ما يريد من كل خير، وليحقق له ما يتمناه من أي رجاء.

عَنْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عِيَالا وَدَيْنًا، قَالَ: أَفَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟ قَالَ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إلا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ قَالَ وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾[1]»[2].

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٩.

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه.

شفاعة المصلين للميت بصلاتهم عليه

من أنواع الشفاعة التي وردت في الأحاديث النبوية الشريفة شفاعة المصلين صلاة الجنازة علي الميت فإنهم يشفعهم اللّه سبحانه وتعالي فيه.

وقد ورد عددهم في بعض الأحاديث بمائة مُصل وورد عددهم في بعضها بأربعين، أما ما ورد فيه عددهم مائة فهو:

عَنْ عائشة رضي اللّه عنها عَنْ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مَيِّت تُصلّي عَلَيْه أُمّةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائة كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لهُ إلا شُفّعُوا فيهِ»[1].

وأما ما ورد فيه عدد المصلين بأربعين فهو:

عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبّاس رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْد أَوْ بِعُسْفَانَ فَقَالَ: يَا كُرَيْبُ انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لهُ مِنْ النّاس؟ قَال: فخَرَجْتُ فإذَا نَاسٌ قَدْ اجْتَمَعُوا لَهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: تَقُولُ: هُمْ أَرْبَعُونَ؟ قَال: نَعَمْ. قَال: أَخْرِجُوهُ، فَإنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ:

«مَا مِنْ رَجُل مُسْلِم يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلا لا يُشْرِكُونَ باللّهِ شَيْئًا إلا شَفَّعَهُمْ اللّهُ فِيهِ»[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

شفاعة الرسول ﷺ فيمن دخل النار من أمته فيخرج منها بالشفاعة

ومن أنواع الشفاعة شفاعة الرسول ﷺ لمن دخل النار من أمته ومات علي التوحيد فإنه ﷺ يشفع له فيخرج من النار ويدخل الجنة، ما دام قد مات لا يشرك باللّه شيئاً.

روى الإمام مسلم - بسنده - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»[1].

وقال اللّه تعالي لرسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[2] وقد فسر كثير من العلماء بأن المراد من الآية الكريمة هي (شفاعة الرسول ﷺ) منهم الحسن البصري وغيره.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَلا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[3] الآيَةَ وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4] فَرَفَعَ يَدَيْهِ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة الضحي (٥).

(٣) سورة إبراهيم : الآية رقم ٣٦

(٤) سورة المائدة : الآية رقم ١١٨

وَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ -وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوءُكَ»[1].

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ»[2].

وعن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال: «شفاعتي يوم القيامة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها»[3].

وقال أنس بن مالك من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب.

قَالَ البخاري - رحمه اللَّه تعالى-: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ. يَجْمَعُ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري

(٣) رواه ابن منيع.

اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ: فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ - الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ - الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ - الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا - أَوْ مُنَافِقُوهَا - شَكَّ إِبْرَاهِيمُ - أَي ابْن سَعْد - فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا، حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ - وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ[1] مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ[2] هَلْ رَأَيْتُمْ السَّعْدَانَ قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ: فَمِنْهُمْ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ - أَوْ الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ - وَمِنْهُمْ الْمُخَرْدَلُ[3] أَوْ الْمُجَازَى أَوْ نَحْوُهُ ثُمَّ يَتَجَلَّى حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْ النَّارِ مَنْ كَانَ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ إِلا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ

---

(١) الكلاليب: جمع كلّوب حديدة معطوفة الرأس يعلق بها الشيء.

(٢) والسعدان: نبت له شوك كبير من كل الجوانب.

(٣) المخردل: أى المقطع بالكلاليب.

تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَشُوا[1] فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ[2] فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي[3] رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا[4]، فَيَدْعُو اللَّهَ بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لا، وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ أَبَدًا؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، وَيَدْعُو اللَّهَ حَتَّى يَقُولَ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لا وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا قَامَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفَهَقَتْ[5] لَهُ الْجَنَّةُ فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَبْرَةِ[6] وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا

---

(١) امتحشوا: احترقوا.

(٢) الحبة: بزر البقول وحميل السيل: مايحمله من طين وغثاء.

(٣) قشبني: آذاني وأهلكني.

(٤) ذكاؤها: لهبها واشتعالها.

(٥) انفهقت: انفتحت واتسعت.

(٦) الحبرة: المسرّة.

شَاءَ اللّٰهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللّٰهُ: أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ، فَيَقُولُ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، لا أَكُونَنَّ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللّٰهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ ادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللّٰهُ لَهُ تَمَنَّهْ، فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللّٰهَ لَيُذَكِّرُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللّٰهُ: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ لا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئًا حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللّٰهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلا قَوْلَهُ ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو سَعِيد الْخُدْرِيُّ أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ قَوْلَهُ ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا الْجَنَّةَ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ يَا رَسُولَ اللّٰهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا: لا يَا رَسُولَ اللّٰهِ، قَالَ هَلْ تُضَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ قَالُوا: لا يَارَسُولَ اللّٰهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللّٰهُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ

يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ، فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمْ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ؟ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَبِهِ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: بَلَى يَارَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلا اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ: مِنْهُمْ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخَرْدَلُ[1]، ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ: مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، أَمَرَ الْمَلائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلامَةِ آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنْ النَّارِ، فَلا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ، فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لا، وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا رَبِّ،

---

(١) المخردل: المقطع بالكلاليب.

قَرِّبْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَلا يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لا، وَعِزَّتِكَ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي اللَّهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ - أي اللَّه - أَوَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لاتَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ - أي اللَّه تعالى -، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُولِ فِيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الأَمَانِيُّ، فَيَقُولُ لَهُ هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ : وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا.

قَالَ عَطَاءٌ وَأَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِيُّ جَالِسٌ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنهما لايُغَيِّرُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ «هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُوسَعِيدٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ (مِثْلُهُ مَعَهُ).

شفاعة الملائكة

وللملائكة شفاعة في الخلق بإذن اللّه تعالى بعد أن يأذن ويرضى قال اللّه سبحانه:

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[2].

ففي هاتين الآيتين ما يفيد شفاعة الملائكة.

أما الآية الأولى فتوضح أن كثيراً من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن اللّه لمن يشاء ويرضى.

---

(١) سورة النجم (٢٦)

(٢) سورة الانبياء الآية (٢٨)

شفاعة الأنبياء والعلماء والشهداء

وأول من يشفع بعد سيدنا محمد ﷺ الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء، كما جاء في الحديث الشريف:

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَةٌ: الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ثُمَّ الشُّهَدَاءُ»[1].

ومجئ العلماء بعد الأنبياء في الشفاعة فيه إيضاح لمنزلة العلماء ومكانتهم عند رب العزة سبحانه وتعالى.

فقد ورد في الحديث: «العلماء ورثة الأنبياء» وهى مرتبة عالية، ومنزلة سامية بحيث كانت منزلتهم بعد الأنبياء في ترتيب الحديث وقبل الشهداء.

(١) رواه ابن ماجه والبيهقى والبزار واسناده حسن

كلمة التوحيد وبشفاعة رسول الله ﷺ

إن كلمة التوحيد هى أساس الشفاعة، فلا شفاعة لغير المؤمنين الموحدين، فمن مات على التوحيد كان من أهل الشفاعة.

وإن أسعد الناس بشفاعة الرسول ﷺ هو من مات على كلمة التوحيد، وقالها خالصاً من قلبه، وكان مطيعاً لله ولرسوله، فقد سئل صلوات الله وسلامه عليه: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فقَالَ: «مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لايَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ. أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»(٢).

وواضح أن الذى قال كلمة التوحيد خالصاً من قلبه هو من كان مخلصا في إيمانه وعقيدته، مخلصاً في طاعته، مخلصاً في كل سلوكه وأخلاقه.

وقد أكد الحديث على هذا الإخلاص حين قال «من قلبه» أى أنه لم يقلها من لسانه فحسب بل قالها مخلصاً من قلبه ومن قالها مخلصاً من قلبه أدّى حقوقها كاملة.

---

(١) رواه البخارى

(٢) رواه البخارى

الشفاعة لأهل الكبائر

ومن أنواع الشفاعة، الشفاعة لأهل الكبائر الذين ماتوا على التوحيد ولم يشركوا باللَّه شيئاً

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»[1].

ومعنى هذا أن الشفاعة المعهودة التى أعطاها اللَّه تعالى لرسوله ﷺ ووعده بها وادخرها هى لأهل الكبائر الذين استحقوا النار بسبب ذنوبهم وكبائرهم.

فشفاعة الرسول ﷺ لا تشبه شفاعة غيره من الأنبياء والعلماء والأولياء؛ لأن شفاعتهم من الصدق والوفاء والحظوظ وشفاعة سيدنا محمد ﷺ من الجود، ولذا فقد روى عن جابر ﷺ فيما أخرجه الترمذى: «من لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة» ولا تتنافى الشفاعة مع قوله صلى اللَّه عليه وسلم لأهل بيته: «اعملوا لا أغنى عنكم من اللَّه شيئاً» وقوله لفاطمه بنته «لا أغنى عنك شيئاً» لأن المراد إلا بإذن اللَّه فالشفاعة لمن شاء اللَّه الشفاعة له.

---

(١) رواه الترمذى والبيهقى وأحمد وأبو دواد وصححه ابن خزيمة وابن حيان والحاكم

الرد على دعوى
أن الشفاعة تدعو إلى التواكل وعدم العمل

إن الشفاعة لا تدعو إلى التواكل وترك العمل ولا تدعو إلى المعاصي كما زعم بعض منكري الشفاعة.

بل بالعكس فإن الشفاعة تدعو المفرطين والعاصين إلى سرعة التوبة والرجوع إلى اللّه تعالى حتى يكونوا من أهل الشفاعة وحتى يدخلوا ضمن من يأذن اللّه سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ بالشفاعة لهم، وليكونوا ضمن من ارتضى اللّه لهم الشفاعة...

وإن الإيمان بها يضفي على أصحابها الأمل في رحمه اللّه تعالى، وعدم اليأس والقنوط من عفوه جل شأنه ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

وفي الإيمان بالشفاعة، حسن ظن باللّه سبحانه، وهو القائل في الحديث القدسي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَإِنْ

---

(١) سورة يوسف : الآية ٨٧

تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1].

ولذلك يقول الرسول صلوات اللّه وسلامه عليه: " شفاعتي يوم القيامة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها" رواه ابن منيع، وقال أنس بن مالك ﷺ من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب..

وفى الإيمان بالشفاعة للموحدين الذين ماتوا وهم يؤمنون باللّه ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا، ما يجعلهم يتمسكون بإيمانهم ويعتصمون بحبل ربهم ولا يموتون إلا وهم مسلمون كما قال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[2].

وفى الإيمان بالشفاعة للموحدين ما يدعوهم إلى البعد عن الشرك، لأن الوقوع فيه يحرم صاحبه من الشفاعة. وفى الإيمان بالشفاعة دعوة لمن يُشفع له أن يكون محباً لمن يشفع له، ولمن يُشفع عنده، فيحب اللّه ورسوله ويزداد طاعة للّه ولرسوله، وأنه يدخل الجنة بفضل اللّه ورحمته، لقول الرسول ﷺ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لا وَلا أَنا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ».

---

(١) رواه مسلم

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٠٢).

ومن آثار الإيمان بالشفاعة أنها تدفع النـاس وتستنهض هممهـم ليكتسبوا لأنفسهم منزلة عند من يشفع لهم من نبي أو صديق أو عـالم أو أحد الصالحين.

قال حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رحمه اللّـه تعـالى فـي كتابه القيم "إحياء علوم الدين"

"اعلم إذا حق دخول النار على طوائف مـن المؤمنيـن، فـإن اللّـه تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين، بل شـفاعة العلمـاء والصالحين، وكل من له عند اللّه تعالى جـاه وحسـن معاملـة، فـإن لـه شـفاعة فـي أهلـه وقرابتـه وأصدقائـه ومعارفـه، فكـن حريصـا علـى أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة، وذلك بأن لا تحقر آدمياً أصـلا فإن اللّه تعالى خبأ ولايته في عباده، فلعل الذي تزدريه عينك هو ولـى اللّه، ولا تستصغر معصية أصلا، فإن اللّه تعالى خبأ غضبه فـي معاصيـه فلعل مقت اللّه فيه، ولا تستحقر أصلا طاعة، فإن اللّه تعالى خبأ رضاه فـي طاعتـه فلعـل رضـاه فيـه، ولـو الكلمـة الطيبـة أو اللقمـة أو النيـة الحسنة، أو ما يجرى مجراها"ا.هـ.

من شواهد الشفاعة

ومن أدلة الشفاعة وشواهدها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ قال الحسن: هي الشفاعة ورواه ابن أبي حاتم.

وروى ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب ابن شريح قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي؟

قال: أي واللّه، حدثني عمي محمد بن الحنفية عن علي أن رسول اللّه ﷺ قال: "واشفع لأمتي حتى يناديني ربي: رضيت يا محمد؟ فأقول: نعم يا رب رضيت " ثم أقبل على فقال: إنكم لتقولون يا معشر أهل العراق: أرجى آية في كتاب اللّه: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ إِنّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1] قلت: إنا لنقول كذلك قال: فكلنا - أهل البيت - نقول: إن أرجى آية في كتاب اللّه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وهي الشفاعة[2].

والشفاعة لسيدنا محمد ﷺ عطاء إلهي جاء التعبير النبوي البليغ بها "وأعطيت الشفاعة" في قوله صلى اللّه عليه وسلم فيما روى عَنْ

---

(١) سورة الزمر : الآية (٥٣)

(٢) من كتاب اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين

جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا فَأَيُّمَا من أمتي رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فلْيُصَلِّ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ كُلُّ نبيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»[1].

(١) رواه البخارى ومسلم

أول الشافعين

وأول شافع هو سيدنا محمد ﷺ فهو أول من يشفع وأول من يُشفع وتقبل شفاعته، لقوله عليه الصلاة والسلام عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»(١).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللَّه عنهما قَالَ: جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ قَالَ: فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَجَبًا إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا وَقَالَ آخَرُ مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلامِ مُوسَى كَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحُهُ، وَقَالَ آخَرُ: آدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ صلي اللَّه عليه وسلم وَقَالَ: قَدْ سَمِعْتُ كَلامَكُمْ وَعَجَبَكُمْ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَمُوسَى نَجِيُّ اللَّهِ وَهُوَ كَذَلِكَ وَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَهُوَ كَذَلِكَ وَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذَلِكَ، أَلا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حِلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا

---

(١) رواه مسلم

وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلا فَخْرَ»[1].

ومما يدل أيضاً على أن سيدنا محمدًا ﷺ هو أول شفيع في الجنة، ماجاء عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنْ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ وَإِنَّ مِنْ الأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلا رَجُلٌ وَاحِدٌ»[2].

فالرسول صلوات اللّه وسلامه عليه هو أول شافع وأول مشفع وأول من ينشق عنه القبر صلوات اللّه وسلامه عليه.

---

(١) رواه مسلم

(٢) رواه مسلم .

شفاعة سورة الْمُلْكُ

ورد في الأحاديث النبوية الشريفة ما يفيد فضل بعض السور القرآنية وخصائصها في الفوز بالشفاعة لمن يكثر تلاوتها ويتعهدها ويهتدي بهداها، إنها سورة الملك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ سُورَةً مِنْ الْقُرْآنِ ثَلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ وَهِيَ سُورَةُ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[1]»[2].

وتسمى سورة "الملك" "المنجية"، و"الواقية" لأن هذه السورة تقي قارئها من عذاب القبر وفتنته؛ فقد قال رسول الله ﷺ عن هذه السورة:

«هي المانعة وهي المنجية، تنجي من عذاب القبر»[3].

وبهذا تتضح مكانة هذه السورة وشفاعتها لقارئها.

---

(١) افتتاحية سورة الملك.

(٢) رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن ورواه أحمد واسناده صحيح وابن ماجه وابوداود

(٣) رواه الترمذي.

شفاعة بعض أفراد الأمة

إن الشفاعة كما ثبتت لسيدنا محمد ﷺ، وللأنبياء وللملائكة وللعلماء وللشهداء فإنها ثابتة لبعض الصالحين من هذه الأمة.

عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «إن الرجل يشفع للرجلين والثلاثة»[1].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ»[2].

---

(١) رواه البراز

(٢) رواه أحمد والدرامى وابن ماجه والحاكم والترمذى

الشفاعة لمن مات على التوحيد

قال الإمام أحمد حَدَّثَنَا هَاشِمٌ والْخُزَاعِيُّ يَعْنِي أَبَا سَلَمَةَ قَالا حَدَّثَنَا لَيْثٌ حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي سَالِمٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ مُعْتِبٍ الْهُذَلِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاذَا رَدَّ إِلَيْكَ رَبُّكَ فِي الشَّفَاعَةِ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَسْأَلُنِي عَنْ ذَلِكَ مِنْ أُمَّتِي لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْعِلْمِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا يَهُمُّنِي مِنْ انْقِصَافِهِمْ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ أَهَمُّ عِنْدِي مِنْ تَمَامِ شَفَاعَتِي وَشَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ مُخْلِصًا يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ»[1].

وهكذا ترى أن رسول اللّه ﷺ قد أقسم باللّه الذى نفسه بيده أنه ما يهمه من «انْقِصَافِهِمْ» أى تدافعهم وتزاحمهم بأن شفاعته لمن شهد أن لا إله إلا اللّه مخلصاً يصدق قلبُه لسانَه، ولسانُه قلبَه وصدق اللّه إذ يقول في شأن رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2].

---

(١) رواه أحمد

(٢) سورة التوبة : الآية ١٢٨.

إنه يحب أمته، ويشفع لمن مات منهم على التوحيد مادام مخلصاً، صادق الإيمان، صادق القلب، صادق اللسان والعمل.

الدعاء عند سماع النداء

قال البخارى رحمه اللّه حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَيَّاشٍ قَالَ حَدَّثَنَا شُعَيْبُ ابْنُ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

وشفاعة الرسول ﷺ تكون أيضاً لمن توجه بهذا الدعاء في هذه الحالة وفي هذا الوقت فحين يشرع المؤذن في الأذان علينا أن نقول مثل الذى يقوله المؤذن، وأن نتوجه بهذا الدعاء المأثور عن رسول اللّه ﷺ والذى وجّه أمته إلى أن تقوله بعد الأذان؛ لأن هذا الوقت هو وقت إجابة الدعاء .. وما يترتب عليه من شفاعة رسول اللّه ﷺ هو جزاء حسن لمن دعا بهذا الدعاء في هذا الوقت.

ومعنى «حَلَّتْ لَهُ» استحقت ووجبت أو نزلت عليه، ويؤيد هذا رواية مسلم: «حَلَّتْ عليه»، وفيما رواه الطحاوى من حديث ابن مسعود: «وجبت له». وإنما كانت الشفاعة لقائل ذلك مع أن

---

(١) رواه البخاري.

المعلوم أنها للمذنبين؛ لأن للرسول ﷺ شفاعات أخرى منها: إدخال الجنة بغير حساب، ورفع الدرجات فيعطى كل إنسان ما يناسبه.

وفي هذا حض على الدعاء في أوقات الصلوات؛ لأن هذا الوقت الذى شرع فيه هذا الدعاء من الأوقات التى هى أرجى للقبول.

صاحب شفاعتهم

حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ»(١).

وإنما خص يوم القيامة بهذه الخصوصيات؛ لأنه اليوم الذى يظهر فيه سؤدد الرسول ﷺ دون منازع، فهو إمام النبيين؛ لأنه صلوات اللّه وسلامه عليه أفضل الأولين والآخرين فكان إمامهم لأنهم به مقتدون وتحت لوائه داخلون، وكان خطيبهم بما يفتحه اللّه سبحانه وتعالى عليه من المحامد التى اختص بها حيث يصمت الناس عن الاعتذار فيعتذر لهم عند ربهم بالثناء على اللّه سبحانه وتعالى بما هو أهل له فلا إذن لأحد في الكلام حينئذ سواه.

وهو صاحب شفاعتهم، وهى الشفاعة العامة بينهم أو صاحب الشفاعة لهم وفي قوله صلى اللّه عليه وسلم «غَيْرَ فَخْرٍ» ما يفيد أنه لا يقول ذلك تفاخرًا بل يقول ذلك تحدثاً بنعمة اللّه سبحانه وتعالى

---

(١) رواه أحمد.

عليه حيث أعطاه مقام الشفاعة وأعطاه المقام المحمود وهو الذى أمره أن يتحدث بنعمة ربه سبحانه وتعالى في قوله جل شأنه:

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

الشفاعة عطاء إلهى

قال البخارى رحمه اللّه حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَان هُوَ الْعَوَقِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ قَالَ ح و حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ النَّضْرِ قَالَ أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ قَالَ أَخْبَرَنَا سَيَّارٌ قَالَ حَدَّثَنَا يَزِيدُ هُوَ ابْنُ صُهَيْبٍ الْفَقِيرُ قَالَ أَخْبَرَنَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[1].

ذكرت الشفاعة في هذا الحديث مع خصائص نبوية اختص اللّه بها سيدنا محمد ﷺ، وبين أنها عطاء إلهى وفي هذا الحديث إشارة إلى بعض خصائص الرسول ﷺ، وهى ليست محصورة في هذه الأمور فحسب بل تزيد على ثلاثمائة والتخصيص بهذا العدد لا ينفى الزيادة، ولا مانع من كونه اطلع أولاً على البعض ثم اطلع بعد ذلك على بقية الخصائص.

---

(١) رواه البخاري

أولى هذه الخصائص: أن اللّه نصر رسوله ﷺ بإلقاء الخوف في قلوب أعدائه من مسيرة شهر، وليس المراد بإلقاء الرعب مجرد حصوله بل ماينشأ عنه من النصر والظفر بالعدو.

وثاني هذه الخصائص: كون الأرض مسجداً فلا تختص الصلاة بمكان دون مكانه «وَطَهُورًا» أى تكون مطهّرة.

وثالثها: «وأحلت لى الغنائم..» وهى ما أخذ من الكفار بقهر وغيره فيعم الفيء والمراد بإحلالها أنه جعل له التصرف فيها كما شاء وقسمتها كما أراد قال سبحانه ﴿قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أو المراد اختصاصه بها هو وأمته دون الأنبياء فإن منهم من لم يؤذن له بالجهاد فلم يكن له غنائم.

ورابعا: «الشفاعة»، والمراد بها الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ.

وخامسها: أن كل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعث رسول اللّه ﷺ إلى الناس عامة.

أسعد الناس بالشفاعة

قال البخاري رحمه اللَّه حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»[1].

ومعنى «أَسْعَدُ النَّاسِ» أى أحظاهم وأوفاهم نصيباً من الشفاعة من قال لا إله إلا اللَّه خالصاً من قلبه أى مع الشهادة أيضاً بأن سيدنا محمدًا رسول اللَّه فكان الجزء الأول من الشهادة شعارًا لمجموعها والمراد: الشهادة بتمامها كما يقول القارئ «قرأت: ﴿الم ذَلِكَ الْكِتَابُ..﴾» أى السورة بتمامها والمراد من قال ذلك من أنس وجن، فلا يسعد بشفاعته إلا من كان من أهل التوحيد. ومعنى «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ» أى أقدم منك. والمراد بالشفاعة في هذا الحديث بعض أنواعها، وهى

---

(١) رواه البخارى.

إخراج من بقلبه مثقال ذرة من إيمان. أما الشفاعة بدخول الجنة بغير حساب فهى للسابقين إلى الجنة.

وأفعل التفضيل في قوله: «أَسْعَدُ ..» على بابه لاختلاف مراتبهم.

اللهم شفع فينا خاتم الأنبياء والمرسلين واغفر لنا ولوالدينا ولسائر المسلمين.

وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	تعريف الشفاعة وأقسامها
٩	رأى المعتزلة
١١	ثبوت الشفاعة والرد على المنكرين
١٩	مع الآيات التى زعم الواهمون نفي الشفاعة
٢٢	الآيات المثبتة للشفاعة
٢٤	الشفاعة العظمى
٢٨	الشفاعة في دخول قوم الجنة بغير حساب
٣٦	الشفاعة في تخفيف العذاب لمثل أبى طالب
٣٦	الشفاعة لأهل المدينة
٤٤	شفاعة الصيام والقرآن
٤٦	شفاعة الشهداء
٤٨	شفاعة المصلين على الميّت
٤٩	الشفاعة لخروج من دخل النار من الأمة
٥٦	شفاعة الملائكة
٥٧	شفاعة الأنبياء والعلماء والشهداء

الصفحة	الموضـــوع
٥٨	كلمة التوحيد وشفاعة الرسول ﷺ
٥٩	الشفاعة لأهل الكبائر
٦٠	الرد على دعوى: أن الشفاعة تدعوا إلى التواكل
٦٣	من شواهد الشفاعة
٦٥	أول الشافعين
٦٧	شفاعة سورة الملك
٦٨	شفاعة بعض أفراد الأمة
٦٩	الشفاعة لمن مات على التوحيد
٧١	الشفاعة لمن دعا عند سماع الأذان
٧٣	إمام النبيين وصاحب شفاعتهم
٧٥	الشفاعة عطاء إلهى
٧٧	اسعد الناس بالشفاعة
٧٩	فهرس المحتويات

طبع بمطبعة مركز صالح كامل
للاقتصاد الإسلامي – جامعة الأزهر بمدينة نصر
☎ : ٢٦١٠٣٠٨

رقم الإيداع: ٩٩/١٥٨٧٨
الترقيم الدولي: I.S.B.N.
977-5252-52-0